النتاج الجديد

العطش في السفينة
ديوان شعر لتركي الحميري

* * *

العمل الفني وجود ناقص ، ما دام بعيدا عن الاخر ، عن القارىء. ويبقى اكتماله قضية متعلقة بالتوصيل . وكلما نظرنا الى العمل الفني، دون ان نعطي التوصيل اهميته الكبيرة في السحر العجيب الذي يتسربل به الفن ولم يبق في ايدينا الا الهيكل المسكين . وتعتمد عملية التوصيل على المبدع اعتمادها نفسه على الاخر . مثلما يعاني المبدع ويلتهب في تجربته ، ويسفح العرق مدرارا في تسلقة سفوح الفكر ومنعطفاته الصخرية حتى يمسك باصابعه اللهب المتالق في الاعالي ، يتحتم على القارىء اذا اراد ان يقبض باصابعه على ذياك اللهب الفريد، ان يبدأ التسلق والمعاناة اللذين عاشهما المبدع من قبل . ودون هذا يبقى القارىء واقفا امام الباب ، وقفة قاصرة خائبة لا يرى منها عجائب الهيكل الذي سعى اليه .

القراءة الحقة ولادة جديدة للعمل الفني. وللشعر قراءته الخاصة. وكل شيء يظل مجهولا ومختبئا في خزائنه ، في انتظار الآخر حتى يتفتح له عن مكنوناته الرائعة . لقد اتفق فنانون كبار كاناتول فرانس واليوت وريتشاردز على اهمية التلقي كمعاناة جديدة للتجربة التي مر بها المبدع حتى يضع الآخر يده على الممر نفسه الذي انسل منه المبدع الى رحاب العمل الفني واسراره . القراءة اذن ابداع .

كان علي ، حتما ، ان اقول هذا وانا اقدم هذه المجموعة التي عشت تجاربها كقارىء وتلمست باصابع قلبي مكامن وتقاطيع الحسن فيها . ولست اريد ان يفهم الآخر ان القضية لا تخلو من شدة وصعوبة. ان اكثر المسائل الفنية تعقيدا ووعورة مثل اللاشخصية واسبقية العناصر الشكلية على المضمون ، تتضح لنا طبيعتها كلما نظرنا اليها من جانب عامل التوصيل . ان الفنان في العملية الفنية لا يهتم ، عادة بقضية التوصيل . ان اهتمامه محصور في اداء صحيح ومكتمل للعمل الفني . كل ما يهم الفنان هو تجسيد تجربة اشتعل في لهيبها حينا من الزمن . ان درجة التوافق بين التجربة المعاشة وتجسيدها معيار لاكتمال التوصيل كعملية يترتب عليها احداث ولادة جديدة للتجربة المجسدة لدى الآخر . ان الشاعر الذي نحبه يدفع بيديه ركاما من الغبار عن مكامن سرية هجعت في هداءتها اشياء عزيزة علينا . فهو في تجسيده لتجارب مر بها واعطاها شكلا غير شخصي انما هو يجسد تجارب الناس جميعا . الحياة ذات طعم واحد في الافواه عموما . ان التجارب التي يمر بها الناس ، على افضل الاحتمالات ان لم تكن نفس التجارب فهي متشابهة . ان الشيء الجوهري هو تمكن المبدع والآخر ايضا وقدرتهما على استعادة الماضي بتجاربه وليس مجرد اكتنازه . وهذا الشيء نفسه يبقى الدرجة القصوى في السلم الابداعي الذي يحاول الفنان صعوده يقول دريدن واصفا شكسبير : « ان جميع صور الطبيعة حاضرة ابدا في ذهنه ، فهو لا يولد هذه الصور عن جهد ومشقة وانما عفوا » ان جوهر هذه المسالة هو القوة على استرجاع الحالة الشعورية الخاصة بالتجربة .

كان كولردج يرى ان الشاعر الحقيقي « يبعث النشاط في روح الانسان بأسرها والذي يكون في حالة غير عادية من الانفعال ممتزجة بحالة غير عادية من النظام ، وحكم متيقظ ابدا وسيطرة على النفس مع حماسة بالغة وانفعال عميق » . اي انه ينبغي ان تثار التجربة وقد ساهمت فيها جميع الدوافع المتعلقة بها ، الواعية وغير الواعية . ينبغي ، اذن ، ان تضع كل هذا في اذهاننا كلما اردنا التسلل الى عالم الشاعر . لقد قرات هذه المجموعة قراءة خاصة . اي انني قمت بما يجب ان اقوم به في اتمام عملية التوصيل التي بداها الشاعر بطرحه هذه التجارب خارجا .

الشاعر تركي الحميري يقطع من لحمه ويسفح من عرقه المالح . انه شاعر جديد يطلع في افق الشعر العربي المعاصر كعلامة دالة على ان الشعر ، في عالم النثر هذا ، لما يزل بخير . ان له كلماته الخاصة به . وهذا شيء كثير . ان اختناق الانسان في زحمة الحياة وتوسله الى وجه صفيق ، عديم الحياء ، مع احساسه المسبق بالخيبة والانهزام، هما اول ما يرتسم في ذهن القارىء من انطباعات يخرج بها من قراءة هذا الديوان . الاختناق والتوسل بلا فائدة . انه شاعر الزحام . وهنا تتجلى قدرة الشعر وحكمته . الخروج من النظام السوق وضجيجه بهمسات رائعة ومباركة .

لهثت استجديك يا لهيب
صليك لك
تعويذتي نحيب ..

في قصيدة « النزوح » تراه متوسلا الى شيء لا يريد ان يكون . وترى هذا التوسل المر ، الخائب في قصائد اخر كما في (رؤوس اقلام)

العمر ظل طوله انتهاء
فالرشفة الاولى هي الذروة ، والبقية الخواء

. . . .

من يعطي لليالي الغائمة الضياء ؟

. . . .

يا املي
يا نخلة كاذبة الثمار
يا شمعة بلا ضياء ،
جمرة بلا لهيب ..

وفي قصيدة « فوانيس علائية » الصوت المرتجف المهزوم نفسه :

الفارس المجنح
يعبر ارض السبحة الموات

لم يعد في الارض فرسان . وبلقيس الملكة بالامس ، مرتجفة اليوم « تخوض في بلور العبودية » . ويصرخ الشاعر

في « اللحظة القادمة »
مرير هو العيش في الضجة الغامرة

اختناق الانسان في الزحمة .. العلامة الاخرى الكبيرة في هذه المجموعة . الطريق الى « روضة من ثوان » حيث يهرم الزمن ويظل الصبا على يفاعته . التعلق باعمدة من دخان. ان الشاعر يمد اصابعه، عبر قصائده جميعا ، للقبض على الزمن ، على « برعمة في الاعالي » . ولكن الزمن يفر ابدا من ايدينا ولا يبقى الا صلابة الاشياء وقبحها « بساتين عمر الخريف » و « وبرعم من حجر » والضوء الغبي يتكسر في مرايا شائهة :

مرايا لا ترى فيها الا « هامة يزدريها المشيب » .
الامس الاصفر .. ترى هناك ما يأتي ؟

في « الصور في الاسفل » يقف الشاعر في الزحام متطلعا : « سؤالة الظمآن جرعة » انه يشرب من كأسه « عالما مضى » واي شيء آخر يتمسك به في زحمة السوق غير الامس .. وعندما يكون الامس صفرا ماذا يتبقى اذن ؟ ومن هنا هذا الفرار في قصائده كفلالة رقيقة في الريح .. كامرأة لا تدري ..

الشاعر لم يعد الا (صورة في اسفل الجدار ترسمها متاعب النهار) . فقدان كل شيء وذوبانه في زحام احمق صفيق . فرار لا الى مكان .

والف آت تلحس الدوار
تجرني انكسار
يلوذ بانكسار
الى غد الغد الضنين

. . . . . .

بلا غد اهيم
برحني الشوق الى المدينة
يا حادي الاظعان

يريد كالطفل تماما عندما يريد القمر يريد ان يبزع فجرا (عند بوابتها الامينة) يريد الرجوع الى مدينة لم يعد لها مكان في عالم السوق هذا ، عالم المصارف والبنوك ، عالم الدينار . ولما كان مدركا ان مدينته ليست الا ظلا على الماء فهو يصرخ مجهشا في بكاء ساخن :

انهل من حميمها
اذوب في صميمها
ازرعها نسيان .

الرجوع . لقد اصبحت الحياة رحيلا الى الصفر . ليس هناك ، اذن ، من يأتي فارسا مجنحا او بلقيس رائعة . (فلقد مضت تلك السفينة) والمهاجر ، الانسان ، في (الغائب الحاضر) عبثا يتوسل الى قطرة مطر : تفتح واخضرار .. او الى اصداء حافر : الفارس المجنح نفسه . ولماذا ؟

الفارس الجائش ، مزقت ثيابه .. اندحر

ويتوسل الى (قارورة تمتص غيمة الضجر) في قصيدته (ابتهال في وادي النسيان) . التوسل ذاك بعينه وفي (العطش في السفينة) يصرخ نوح ، الشاعر في طوفان الاشياء الصلبة القبيحة ، يصرخ في هزء مرير من الامل ، حزمة الزنابق القذرة : (سوف تعود بالزيتون ، سوف تعود ..) هذه القصيدة حيرة امام العالم المترع ، حيث لا تنوش اليد شيئا الا الظل وغبار العربات المنهزمة العطش في الماء ، والتخبط في الظلماء عند رائعة النهار . لعل الشاعر يتطلع الى نور اخر ومياه اخرى في المجهول نفسه ، في التأمل الميتافيزيقي ، لا تلمس الاصابع حلمها الاخضر . فلا يبقى اذن الا الانكسار واحساس فاجع بالخيبة امام غابات الملح .. لا تبقى الا بسمة صفراء يزرعها الدينار الزائف اذا عادت لقالق قريتي البيضاء .

« اذا » ولكنها نبتة عجفاء لا يخضر لها فرع .

شيء لطيف كغمامة حائرة ترتجف عبر القصائد عموما . اغنية ريفية خضراء . لقد عاش الشاعر بحكم ولادته ، في قرية نائية منطرحة على اطراف الهور ، عميقا في العمارة . ان طفولته تراوده من حين الى آخر والماضي جنة مفقودة . الرجوع ذاته الى الصفر . ان حلاوة التذكر تمتزج بطعم التراب ، الذي تثيره عجلات السنين الهاربة . ليس هنالك الا « حفنة رمل » .

رحلت طيور الصيف ، ودعت الشواطىء من قرانا . ما الذي يترقبه الشاعر ويحن اليه ؟ الغد ام الامس ؟ لعله يهفو الى الاثنين معا . عندئذ يرتطم الجبين بصخرة الزمن الرعناء . يريد فجرا رائقا يحضن في بريقه عالمين لا يلتقيان : طيور الامس وشباك الغد . لقد وقع الشاعر في المصيدة اذن . فلا مفر .

عبثا يصفق الانسان المكبل باجنحته ناشدا السفر .
ما كان ان يكون
القحط يزحف بارجله العقربية الى الحقل النائي المنبسط
وراء تلال الذاكرة . اية هزيمة امر من هذه الهزيمة
لا قمح يجتاز الربى
لا عنزة ، لا دار
لا خنجر لا فزع الرذيلة ،

في قصيدة (النزوح) هذه يفتقد الامس رونقه . فينشد الشاعر الذهول لينسى القرية . انه القحط نفسه الذي تسربلت باسماله الحياة ، حيث لا فرار لا قوة على المكوث .

الحيرة وتترسب عميقا في القلب « ضفيئة » تعصف بالشيء الذي لا يريد ان يكون . « ما من سبيل الى غير هذه الربوع » . الحافة التي ينتهي عندها كل شيء . الماء (خديعة) وحقول (الضفيئة) في اخضرار وائق وصلف يقف تركي الحميري امام الصخرة التي لا مفر من الوقوف امامها . التمرد عندها ضياع . عندئذ يرتجف الشعر بهذه الحرقة . آه .. اية قوة عجيبة تدفع الشاعر لان يقول انه الشعر ، الجوهرة الفريدة التي تحرق الاصابع . ان تركي الحميري قصيدة جديدة في ديوان شعرنا الحديث . هذا شاعر يختنق في الزحام .. ولما يزل يكتب . هذه هي حكمة الشعر (*) .

بغداد — حسب الشيخ جعفر

زورق من دم

مجموعة قصص بقلم يوسف شرورو

منشورات دار الاداب — ١٤٤ ص

***

اكثر الناس احساسا بالغربة ، هم اولئك الذين سحبت الارض من تحتهم عنوة ، يوم راح الضمير العالمي في سبات نتن ، ليعيشوا مأساة الضياع في خيام التشرد وفوق ارصفة العالم الثلجية بلا قلب . ويوسف شرورو احد اولئك الذين اخرجوا من ديارهم عام ١٩٤٨ ولما يزل في العاشرة من عمره ، ليرقد على رصيف قيط من ارصفة دمشق ، مجترأ طفولة بلا طفولة ، في حياة بلا حياة . وشاءت الاقدار ان يفرد يوسف شرورو التشرد الى لندن . وفي لندن .. عاش — وما زال — متسكعا بين مقاهيها وغرفات انتظار قطاراتها وحيدا ، او بصحبة صديقه « اللامنتمي » كولن ويلسن . ومجموعة « زورق من دم » هي اولى ثمرات رحلة انتيه هذه ، بعد قيامه بترجمة ثلاثة كتب من اعمال كولن ويلسن بالاشتراك مع عمر يمق هي : ما بعد اللامنتمي « فلسفة المستقبل » ، ضياع في سوهو ، الشك .

ما اتعس ان تعيش بلا وطن .. « انها لاهانة حزينة ان تعيش بلا وطن » .. قالها ثم رحل . وسيقول الذين يقصرون مأساة الضياع على انسان الغرب : « ان وجهه عربي ، والوطن العربي يحتضن كل عربي ». لكن ان تسرق اللصوص دارك ، وتقيم انت في دور اقاربك ومعارفك واصهارك ، ليس نفيا « للنفي » بل هو اثبات له وتوكيد . ونحسب ان يوسف شرورو قد عانى هذا الازدواج الى ان تم عقد الصلح بين حبه الموطن الكبير .. الكبير ، وتوقه للوطن المفقود .. الموجود . كان عند سؤاله عن بلاده يقول : انا عربي من العالم العربي . لكن شرطيا غبيا في عاصمة من عواصم بلاده سأله عن اسم المدينة التي ولد فيها ، فلما اخبره انه من فلسطين ، اسمعه كلمات جارحة تنزف . لم يكره الشرطي لان هذا المسكين لا يعلم ان « الناس في الشوارع المزدحمة عرب بحبون الارض التي ولد عليها . البيوت تدور فيها احاديث عاطفية عن استرجاعها ... لا ، لن يكره الشرطي ، فهو يختفي خلف ستراته الرسمية . لا ، لن تبكيه كلمات الشرطي ، فهي عادية معادة فقدت معناها وبريقها . وهنا في اوروبا يعلمون ان العرب ، كل العرب يعملون لموعد الغد في فلسطين » .

وفي نفس قصة « الحلبة تنتظر يا ... » يذكر اخاه « وهو في زنزانة عربية ، يحاكم بقسوة ، ويهان كحيوان ، وتوجه اليه التهم البشعة ، لانه اراد تنظيم بعض الشباب وتدريبهم على استعمال السلاح، انتظارا للموعد الذي يخطو عبر الايام الان . وغفر للذين سجنوه لانهم اخوة من بلاد تضم عالمهم العربي » . وتأتيه في لندن رسالة من اخيه بعد خروجه من السجن للمرة الثانية يقول فيها : « اخي ، اشعر بانني نضجت واصبحت رجلا ، كانت المعاملة في البداية سيئة ، وعندما عرفوا السبب ابتسمت عيونهم بحب صادق لنا . وصافحونا بحرارة .

(*) مقدمة لديوان « العطش في السفينة » الذي يصدر هذا الشهر في بغداد للشاعر تركي الحميري .

اخي ، بعدها شعرت بأننا لسنا وحدنا من يحب ارضنا . اخي، الكل يعمل معنا » .

وعند تمام عقد الصلح هذا .. اتضحت معالم وجهه العربي الاصيل . نعم .. هو يعاني الغربة في لندن . يبحث عن صديقة في مدينة تبتلع اربعة ملايين امرأة فلا يجدها (حب بعد الظهيرة) . ويقتل ولده جنينا لانه لا يريد ان ينجب ولدا للضياع (زورق من دم) . يعيش ايام سجين ابدي متشابهة ، وحيدا كنبتة صحراوية مرة ، تأكل الغربة النور من عينيه ، وفي عينيه ضباب كثيف لم تمحه الايام . نعم .. هو يعاني الغربة في لندن ، لكنه يحمل في داخله املا صغيرا ، قد ينمو .. ويتطاول كسهول القمح الخضراء في بلاده ، امل يزرع في داخله حنانا وشوقا لوطنه ، لبلاده العظيمة المستلقية خلف البحار الزرق الداكنة تصنع الثورة الجديدة كخطوة ثابتة نحو خلاص مدينته من أيدي الوحوش الضارية ذات الانوف المعوجة (عائم في لندن) . بهذا الامل يتحدى الضياع ، فغربته ليست كغربة شباب لندن العابث ، المتمرد بلا غاية ولا محتوى ، لان له عبر البحار وطنا ينتظر ، واصولا عبر القرون تمتد امتدادات شريفة ، طالما وقف في لندن مفاخرا بها .. الفرسان العرب دخلوا اسبانيا كالشمس وخرجوا منها مخلفين وراءهم حضارة تتحدى الشمس .. « تذكري بأننا لم نترك اثارا قذرة على تراب بلادك » (الليلة الاخيرة) .. « الفلسفة هم اول من شرحها وكتب عنها » . فعلى رفاق الامل النامي ان يرتبطوا بجذورهم ، وان يطهروا انفسهم بالفهم الواعي لمعنى الانسانية ، فلا يكونوا كذلك الذي مارس « حريته » بقتل « قطة » . او ذلك الذي يرى الحرية رغبات عابثة طارئة مهما بلغت بشاعتها (ليلكة لنهر المدينة) . علينا ان نتحد مع الاخرين ، بل ونبحث عنهم قبل بحثنا عن انفسنا « سقراط كان معتوها حينما قال : ابحث عن نفسك ، علينا ان نبحث عن الاخرين لنجد انفسنا » (رحلات الثلج) . ولنحم انفسنا من التقوقع بالعزلة الاختيارية (سجين مكتبة هرمة) .

واذا كان الكاتب يفضح التمزق والقحط الذي تعيشه لندن ، فانه لا ينسى ينابيع النور التي تتفجر بين الفينة والفينة في محاولة لبعثرة الظلمة الكثيفة . فعندما لفظته الشوارع ليبيت ليلة باردة في غرفة انتظار احدى المحطات قدمت له امرأة زنجية ـ كانت تنظف المكان ـ فنجان شاي ساخن .. « ابتسمت لها . كانت اما ». وعندما حاصرته عصابة صهيونية بغية عزله تصدت لها فتاة كاثوليكية . تهوى القصص الدينية » ، بل اعطته اخرى حبا مثمرا ، وضحت بالثمرة وقلبها يتمزق لارضائه . غير ان النور لا يأتي في الغالب الا من الاقليات والطبقات المعدمة . فلقد تدفق من قلب زنجية في بلد البيض ، وكاثوليكية في بلد البروتستانت ، ومشردة فقيرة منذ الطفولة كانت ضحية استغلال بشع في بلد الاسترليني ووزارة المستعمرات المنهارة ، حتى امها التي اصيبت « بمرض البغضاء » في هذا المجتمع الوحشي « ارسلتها لتعمل في مصنع ملابس نسائية ، وكانت تستولي على نقودها القليلة ، وتلعنها ، لم تقبلها كما تقبل الام ابنة تفتخر بها » .

هذا هو محتوى يوسف شرورو ، وهو ما زال ـ كما نرى ـ متردد بين الانتماء والتشرد ، لكنه ـ في حالتيه ـ انسان يتألم توقا الى شواطىء الامان . وفي قصة « الليلة الاخيرة » مخالفة صريحة لهذا المحتوى الانساني ـ من غير قصد فيما نرى ـ وذلك بطرده الفتاة الاسبانية من حجرته بعد ان آنست وحدته ليلة عيد الميلاد بحجة اهتمامه بدروسه ـ الهدف ـ ولم نجد ثمة تعارضا بين حفاظه على ودها وبين دروسه ، بل ان رفضه لصداقة هذه الفتاة « الغريبة » التي تعاني نفس وحشته ، لشبيه برفض الفتاة الايطالية لصداقته بعد ان قضت مآربها الترفيهية حتى موعد حضور صديقها في قصة « حب بعد الظهيرة » .. تصرف لاانساني اعطى هذه القصة قيمتها ، وهوى بقصة « الليلة الاخيرة » الى مهاوي التسطح والسذاجة . والقصة في جملتها ليست اكثر من حادثة ساذجة تغلفها « الغربة » في بدايتها بغلاف جميل ، ويعريها « الهدف » غير المقنع في نهايتها من كل جميل . اما الحديث عن الغربة وشرف العرب فمعان تكررت في قصص اخرى بالمجموعة ولم تضف الى هذه القصة جديدا . ولا يبقى بعد ذلك غير المقابلة الذكية بين الاحصنة العربية التي لم تترك اثارا قذره على التربة الاسبانية ، وبين هذا المهر العربي الجديد ، وهي مقابلة شاعرية جيدة أضاعها المفهوم الساذج للقصة .

وقصص المجموعة من النوع « الولود » الذي لا يمكن تلخيصه في عبارة او قولبته في فكرة واحدة . ولهذا فقد كانت محاولة تقديم فكرة القصة بعبارة تقريرية في بدايتها من اخطر آفات المجموعة ، كما حدث لقصة « الحلبة تنتظر يا ... » حينما قال على لسان صديق : « عش الحياة كمصارع اصيل . لا كمصارع عضلات ، بل كمصارع كلمات » . ثم توالت الحوادث لخدمة هذه « الحكمة » . ويدخل في اطار هذا المأخذ ايضا ، التصريح بالفكرة من حين لآخر ، ولقد اضاعت هذه التصريحات رواء قصة كان من الممكن ان تكون من انضج القصص العربية ، ونعني بها قصة « سجين مكتبة هرمة » . ففي هذه القصة امسك المؤلف بفكرة رائعة اضاعتها المعالجة . وتتلخص الفكرة البعيدة التي نعنيها في تلك « الحبوب » التي تنبت على صدره وكتفه كلما قرأ كتابا .. حبوب فولاذية غير صدئة كمسامير فضية تتكاثف مع متابعة القراءة حتى يصبح صدره كصدور فرسان القرون الوسطى التي تتحطم عليها النصال . وعندما يحاول الخروج من هذه «القوقعة» او « المحارة » الصلبة التي تكاد تكتم انفاسه يقرر الاطباء ان المسامير الفولاذية ستزحف الى رقبته لتخنقه .

رمز معطاء ، ينبهنا الى خطر العزلة ، فالثقافة ليست عزلة ، او لا ينبغي ان تكون عزلة ، وانما زاد للنضال . لكن الكاتب يبدد رواء هذا الرمز بالحاحه على كشف عالمه للقارىء بعبارات مثل : « ايتها القوقعة القبيحة » .. « أنت ميت تعيش في عالم الكتب اللاواقعي »» سواء اجاءت هذه العبارات على لسانه او لسان الاطباء الذين ينصحونه بترك القراءة . ان للقارىء احقية كشف هذه العوالم وحده ، ولو تركه الكاتب لارتفعت هذه القصة الى مستوى يوسف ادريس في اتجاهه الجديد الذي بدأه بقصتي « اللعبة » و « الاورطي » مسجلا مرحلة جديدة في فن القصة العربي .

وفضلا عن تجربة الكاتب ، فان ثقافته الوجودية التي استوعبت مأساة الضياع منذ واجهها جيل همنجواي في العشرينات حتى جيل كولن ويلسن في الستينات ، هي صاحبة هذه المجموعة في نظرنا ، ليس فقط من ناحية المحتوى ، وانما من ناحية اللمسات الفنية التي تركت بصماتها على كل قصه . فنراه يردد بعض العبارات اكثر من مرة لتوحي أو تومىء كما يفعل همنجواي ، وينتقل بين الازمنة تنقلا هادئا مريحا كفراشة تطير ، لا صاخبا بانرا حادا كارتطام مفاجىء . وكان هذا التنقل من اهم العناصر التي اعتمد عليها لتشويق القارىء ، فكثيرا ما كان يترك الحدث الاصلي متوترا مشدودا ليرتد الى الماضي ، بل ويصعد الى المستقبل باحداث جانبية صغيرة كسلالم نغمية رقيقة وموحية . ولقد اعتمد الكاتب اعتمادا أساسيا على ضمير المتكلم ، فلم يستعمل ضمير الغائب في غير قصتين ، كان بالامكان الاستغناء عنه فيهما حيث فرض بلا ضرورة ، او لم يستطع الكاتب استعماله في مجالاته الواسعة .

والمجموعة بمضمونها مع الضمير الاول تدخل في قصص «السيرة الذاتية» وليس لدينا اعتراض على هذا « الضمير الوجودي الحي » الا عند اضراره بالحيدة الموضوعية المفترضة في نقل الواقع .. وكثيرا ما خلخل اعتماده على هذا الضمير من حيدته وخاصة حينما كان التعبير يفصح عن شيء يريد الراوي غيره . كما حدث مع قصة « رحلات في الثلج » التي نجد فيها مثل هذه العبارات : « فتاة صغيرة تكشف عن فخذها الشهي » .. « جاءت سلفيا تتلوى بجسدها المعتق » .. « عم المكان صمت برق فيه بياض فخذ الفتاة » .. وهي عبارات ـ كما ترى ـ مشحونة بالاشتهاء في حين ان الكاتب يبغي التعبير عن الازدراء .

ورغم صياغة الكاتب الشعرية ، فقد شاهدنا له سقطات عدة في

مطب « العبارات الجاهزة » التي يسوقها اليه الاستظراد فيلتقطها وهو في عجلة من امره دون تدقيق فتقلب المعنى او تنقلب عليه وقد جاءت لايضاحه او تأكيده . ونكتفي هنا ـ كمثال ـ بالعبارة السابق ذكرها عن مدى تأثير كلمات الشرطي في نفسه : « لن تبكيه كلمات الشرطي ، فهي عادية معادة فقدت معناها وبريقها » . وان تكون لكلمات الشرطي معنى ثم تفقده لكثرة التكرار فأمر لا شك فيه . اما ان يكون لها بريق ثم تفقده فذلك ما نشك فيه ، ومتى كان للكلمات الجارحة ـ اصلا ـ بريق ؟

والصياغة الشاعرة ، اهم ميزات المجموعة ، ولقد تمكن الكاتب من اسرار هذه الصياغة الى الحد الذي يجعلنا نضع بعض قصصه في اطار ما نسميه « القصة القصيدة » . ولا نعني بذلك استعارة شكل القصيدة الجديدة في كتابة القصة ، كما فعل يحيي حقي مع « عنتر وجوليت » بحجة تحرر الفكرة من سيطرة التركيب اللغوي . فبامكان الفكرة ان تنطلق بلا قيود ، مطلقة روابط الجمل وحروف السببية دون اللجوء الى شكل مستعار من فن آخر بلا ضرورة . انما نعني « بالقصة القصيدة » تلك القصة التي تعتمد أساسا على الاسلوب الشعري الزاخر بالصور والتشبيهات واللغة المركزة النافذة الى اعمق الاعماق ، الموحية بغب الدلالات . وانا نعتبر قصتي « عائم في لندن » و « حب بعد الظهيرة » اضافات موفقة في هذا الاتجاه .

القاهرة — محمد محمود عبد الرازق

قبل ما تسقط الامطار

ديوان شعر لكيلاني سند

***

معجزة تثير الدهشة والغرابة ان يفلت من حصار الصمت المفروض على عالم النقد الادبي هذه الايام قطرات ضوء تقدم الى الناس ديوان شعر ... حقيقة مرة رهيبة .. وامر منها واقسى ان يتغافلها من يملكون ان يكشفوها للناس .. اختفت الصفحات الادبية .. او كادت من الجرائد اليومية .. والحيز المخصص للشعر تضاءل حتى لم يعد يحس به الا مصححو الجريدة الذين يراجعونها حرفا حرفا .. وهاجر الشعراء مرغمين الى الصحافة الادبية في بيروت وغيرها .. بينما لم يتضاءل اهتمام السادة رؤساء تحرير الصحف باخبار « الكرة » ..! وغالبية نقاد الشعر والادب لحقهم داء العصر .. فتحولوا الى نقاد للمسرح . واذا كانت هذه نظرة اجهزة الاعلام الى الشعر ، ونظرة النقاد المحترفين الذين يحاضرون صحافتنا الادبية .. فأي معجزة رهيبة تلك التي تنحقق اذا ما تسللت حزمة من الضوء المغامر حول سحب الصمت وغيومه لتقدم لمتذوقي الادب الذين لم يفقدوا ايمانهم بعد بالانسان اللاصق وجهه بالشمس ، الساخط على عبثية العدميين وانهزاميتهم.. الانسان الذي يعايش الامطار قبل ما تسقط الامطار وحين يصدر ديوان شعر جديد ... فينبغي لنا ان نتساءل .. اي قضايا جماليةوايدلوجية يثيرها في نفس متلقيه ؟ واي وجه طفلي طازج يضيفه الى وجوه الاطفال الملائكة « ليغسل به عفن الواقع وجموده ؟ واي صيحة ثائرة على تناقضات المجتمع تلفح احاسيسنا الناقدة الساخطة من خلال كلماته ؟

ولعلني لا اكون مبالغا اذا قلت ان الديوان يمكن ان يثير من خلال قصائده القضايا الآتية :

اولا : مدى اخلاص الشاعر لاتجاهه الايدلوجي الذي يؤمن به .

و « كيلاني » احد الشعراء الاشتراكيين القدامى الاصلاء .. ولكنه يختلف عن كثير منهم في موقفه المذهبي ، فكثير منهم قد انحرف به فهمه الضيق النفعي الى مجرد ترديد الشعارات ، واتخاذها لافتات تجارية تخضع لمقاييس الربح والخسارة ، وهؤلاء ليس عندهم مانع في ان يحولوا شعرهم الى « وكالة انباء » دعائية تمجد الواقع ايا كان ، وتبارك الشعارات كيفما كانت ، وهؤلاء الشعراء يمتلئون اتجاها يزيف الواقع ، ويزيف المبدأ ، ويفقد الناس ثقتهم في الادب والفن .. فهذا الاتجاه كما يقول « جون فريفيل » رائد الواقعية : « يحيل الواقع دون مراء الى فكرة مثالية ويشوهه ، ولا تصبح الاعمال الفنية مرآة تعكسه ولكنها تصبح تعليلا له ، والكاتب يغدو « دار وكالة » او وساطه لتزييف الواقع ، وتأييد وجهات نظره ، وتبرير آرائه . لقد حارب فلاسفة الواقعية هذا الاتجاه لانه يقضي على الحقيقة ، وعلى الميزات الفنية للعمل الادبي » (١) .

و « كيلاني » يناقض هذا النموذج السطحي ، ويتعمق الواقع حوله ، فيجد تناقضات المجتمع الاشتراكي في مرحلة التحول، فيبارك البراعم المتفتحة ، ويسير مع شعبه خطى الكفاح الدامية في الطين الاسود فوق الانقاض ، «في أرض المخاوف» كما يتضح في قصيدة « الاذرع الشاحبة » :

نحن الجيل الحامل صلبانا
من وهج الشمس رضعنا الاصرار .. رضعناه لبانا ..
وغرسنا في الطين الاسود اذرعنا وغرسنا السيقانا
ووطأنا النار بأقدام عارية .. لم تشك خطانا
ما زلنا نبحث عن نهر .. لم يرو ابدا انسانا
لم نيأس فالكنز عظيم ، سنخوض اليه النيرانا

وهكذا يشيد بكفاح الانسان في مجتمعه الاشتراكي في قصائد اخرى كقصيدة « اغنية لعامل نسيج » ، وقصيدة : « نفوس كانت ميتة » ، و « من اغاني الزنوج » وان كان التكنيك التعبيري فيها يعيبه شيء من الخابية والنزعة الدعائية ، كقوله :

بلدي يتحدى التيار
بلدي اصبح ان يتكلم يصغ العالم
كل صباح تسمع اذني نبأ يفرح
انشيء « مصنع » انشيء « مسرح »

تلك لحظات عابرة قصيرة في حياته الفنية سرعان ما تبتلعها امواجه الهادرة لتعود اليه بصيرته الواعية الناقدة ، فلا يمكن لحركة التقدم المادي في مجتمعه ان تعميه عن رؤية التناقضات العقيمة التي طفت على سطح المجتمع ، وامسكت بتلابيبه وحاصرت مكاسبه ، ولذا تتحول الكلمات في بعض قصائده الى كلمات لهبية ثائرة تهاجم ولا تبارك ـ عكس ما يفعله بعض الشعراء المزيفين . ولنتأمل قصائده .

(١) الادب والفن في ضوء الواقعية ـ تأليف جون فريفيل ـ ترجمة الاستاذ محمد مفيد الشوباشي .

صدر حديثا

للشاعر عبد الوهاب البياتي

طبعة جديدة لواحد من اهم
دواوين الشعر العربي الحديث

منشورات دار الاداب ٢٠٠ ق.ل

« الخوف » « التافهون » « ذو الوجه الاحمر » « بائع الابر » «طفلان» « الادانة » ففي قصيدة « الخوف » توحي صوره بسخطه وتمرده على مجتمع « الكليشيهات » و « الشعارات الببغاوية » والايدي المرتعشة والخوف من الرقيب .. ! وتلك مرحلة عاشتها مصر أيام « دولة المخابرات المنحرفة » :

الخوف سوس ينخر الاعماق
يمتص خضرة الحقول في قلوبنا ، يفتت الاوراق
ويمسخ الانسان .. !
فيجعل العينين خلف الاذنين ، يعقد اللسان .. !
فان اراد أن يقول .. قال غير ما يريد
من قال : أن الخائفين شيدوا « اهرام » ؟
من قال : ارض الرعب تفرخ النسور ؟
وتطلق الطاقات في الانسان ؟

والقصيدة من روائع الشعر العربي المعاصر في مضمونها القائم على التعبير بالصورة والبناء الدرامي ، والرمز الشفاف الذي يقود الى المضمون دون ان يتستر وراء ابهام مغلف بالضباب لا يفضي الا الى سراديب الخواء والعدم ، وفي قصيدة « الادانة » يهاجم تجار الشعارات من الاشتراكيين المنحرفين :

ما الذي زحزحنا بعد المسير ؟
والذي شل يد الريح فما عدنا ذكير
دفة القارب اذ لاح لنا الشط وبانا
ما الذي شل قوانا واحتوانا ؟
جعل الرؤية لا تعدو خطانا
ما الذي يحرمنا طعم اللقاء
عندما يجمعنا اي طريق
نتوارى عن عيون الاصدقاء
نرسل الرف الى لافتة ليس بها اي طلاء
اي كلمات .. خواء ننتقيها
ننفخ البهجة فيها
نكسر الصمت الذي يفصلنا مثل جدار
نستر العري الذي ينقضنا ليل نهار
عبثا ننفخ في الميت نار
هل صنعنا حلينا عجلا عبدناه اله ؟

و « كيلاني » بهذه القصيدة ـ ومثلها كثير في الديوان ـ كما اوضحت سابقا .. يقف في مقدمة شعراء الاحتجاج او مدرسة « الرفض الايجابي » ـ لا رفض « ادونيس » السلبي ـ وهؤلاء الشعراء الساخطون قد لا يحظون الان بالاضواء والضجيج ، ولكنهم في الغد القريب شعراء الاجيال القادمة .

اما القضية الثانية : فهي قضية تتصل بالشكل .. فاللاحظ الان أن كثيرا من ادعياء الشعر الحر يخضعون تجاربهم الشعرية للقوالب المسبقة ، محاولين خلق انفصالية مصطنعة بين الشكل العمودي والشكل الجديد في الشعر الحر .. وهذه الانفصالية انما هي وهم طفولي في ادمغة محترفي النماذج الجاهزة في الشعر،فالشاعر الاصيل لا يضع لفنه قالبا مسبقا ، وانما يترك تجربته تختار تلقائيا وعفويا الشكل الذي يعانق المضمون ويلائمه ، دون تعمد او افتعال لشكل محدد يكبل خطا المضمون ، ويعوق تطوره ونموه ، وطبقا لهذا الوعي الفني الذي ينم عن اصالة شاعر موهوب نجد الديوان يضم قصائد من الشعر الحر ، وقصائد اخرى من الشعر العمودي .. وبتأمل قصائده العمودية نجد منها ما نظم في بداية حياته الفنية كقصيدة « زوابع » التي نظمها سنة ١٩٥٤ ، والتي نجد فيها بعض الظلال الرومانسية :

يا شعر ما انت الا زوابع في دمائي
اهتز منها كأني دوامة من هواء
ليلي غلاف صفيق ، مطرز بالشقاء
والنجم قطرات دمع ، تسمرت بالسماء
كأنها ألف عين تطل عبر الفضاء

ومن هذه القصائد العمودية ما نظمه الشاعر سنة ١٩٦٣ مما يدل على أن اعتماده على القالب العمودي لم يقتصر على بداية حياته الفنية، بل ظل ملازما له ، حتى وهو في قمة تطوره الفني ، فقصيدته«فلتبعدي عني» منشورة سنة ١٩٦٣ ، وكذا : « أمرأة ناشز » و « السمسار » .

اما القضية الثالثة فهي الى أي مدى يمكن أن نعتبر الشعر الحديث وثيقة تعكس ملامح شخصية الشاعر وبيئته الخاصة ؟

والحق ان « كيلاني » في ديوانه السابق « في العاصفة » وفي ديوانه هذا « قبل ما تسقط الامطار » يعري حياته الخاصة للقارىء .. ويعطي للناقد والباحث النفسي والدارس الاجتماعي فرصة الدراسة والتحليل .. وقليلون هم الذين لديهم الايمان بالفن والجرأة والثقة بالنفس لدرجة تجعلهم ينفضون اعماقهم الدفينة في كلماتهم .. فهناك اكثر من قصيدة تشير الى زوجته التي فارقها ، كقصيدة « شجار » التي يقول فيها :

لا تصلح لي .. ابدا .. ابدا .. لا تصلح لي .. انت اناني
تقرأ أوراقي، تنبشها ، وتبعثر اشيائي... صواني
غيرت حياتي ، فحياتي خالية من اي معاني
اجننت فترفع استاري من حولي ، ترفع جدراني ؟
تكشف للناس أحاسيسي عارية في كل مكان
قالت : فلترحل عن بيتي ما عدت تعيش بوجداني
لملم اشياءك لا تمكث في البيت ولو بضع ثواني
فخرجت ودرب يدفعني فاسير الى درب ثاني
ومتاعي بضعة اثواب ، وحقيبة كتب واواني
امشي كنبات مقتلع من غير جذور ترعاني
قد عدت كما كنت وحيدا .. لكن بكرامة انسان

وكان الانفصال المرير .. وحرمانه من وجه طفله الجميل .. واكثر من قصيدة في الديوان تشير الى حنينه الى انامل الطفل الوديعة

دار الآداب تقدم

المسرح والمرايا

للشاعر ادونيس

الثمن ٦٠٠ ق.ل

صدر حديثا

عساها تعود فتعانق احزانه وضياعه ، كما في قصائد : «الملاك الصغير» « عيون الاطفال » « طفل لم يولد » .

واخيرا .. فما اجمل ان يخترق الصمت الرهيب في هذه الايام مثل هذا الديوان الاحتجاجي الساخط ، وليكن عزاء صاحبه انه قدم صيحة احتجاج ضد الصامتين والمتاجرين بالشعارات .. والمزيفين .. وكما يقول في قصيدته « الكلمات » :

مما يرفع رأسي زهوا
اني ما سطرت الاحرف لغوا
ما طأطأت .. وما سويت « الياقة » حين وقفت على العتبات
من اجل فتات .. اغمس كلماتي في الذل
ما دنست طريق الشعب
ما طرزتك حول وشاح كي يتقلده جبار
يقهقه حين يشاهد روما وسط النار .. !

القاهرة — سعد دعبيس

شيء من الخوف

رواية بقلم ثروت اباظة

سلسلة اقرأ ـ دار المعارف بالقاهرة ـ ١٢٨ صفحة

***

يعكس تناول ثروت اباظة الكثير للريف شديد ارتباطه به ارتباطا حقيقيا . وعلاقته به ليست من النوع المجرد الذي يصل بين صاحب القلم وجزء كبير من ارضه يستشعر نظريا مسئوليته ازاء تأخره ومعاناته الطويلة ، وهي كذلك ليست انتماء بالمولد تقطعت الاسباب بين صاحبها وقريته ببعده عنها او هجرته منها . وانما هي علاقةوثيقة تمتد الى الجذور رغم ثراء الاسرة التي تعد احد الاستثناءات القليلة في بلدنا الذي حاول الا يعني الغنى استغلالا واذلالا للفلاح . ولعلهذه الكلمات التي انثالت في خواطر حافظ في (شيء من الخوف) تبلور بدقة خاص رأي قاصنا نفسه .. « كان يشعر دائما ان هذه الارض جميعها ملكه وانه نبتة منها ولكن نبتة خالدة باقية لا تحصد ولا يعاد زرعها ، وانما هي نبتت منذ ملايين السنين ثم بقيت . كان يخيل اليه انه يعرف اغوار هذه الارض وانه كان في يوم ما في داخلها تحنو عليه اعماقها وتدفئه حناياها ويمده بالسقيا ماؤها حتى اذا انفجر الى السطح كان هواء هذه التربة هو الذي يمده بالحياة .. وكان يخيل اليه انه فلاح من هؤلاء الفلاحين الذين يعملون في الارض ثم ما تلبث هذه الفكرة ان تنداح في وعيه ، فاذا هو يحس انه هو جميع هؤلاء الفلاحين فهو الذي يدرس القمح وهو الذي يحصده ، وهو هو نفسه الذي يذروه ... وما تلبث افكاره ومشاعره ان تضرب به في اغوار الزمن فيحس انه هو نفسه الذي ذرع هذه الارض منذ بدأت هذه الارض تعرف نفسها كمنتجة للزرع ، وحين لم تكن هذه الارض شيئا الا ان تحمل الانسان كان يخيل اليه انه هو اول انسان حملته لم تحمل قبله احدا ..

وهذا الحب الذي يكنه فناننا للقرية هو اول ما يعكس صدق التناول في روايته هذه ..

لا يصنع غروب الشمس في القرية المصرية نهاية اليوم وخاتمة العمل فحسب ، بل يحمل اليها نذيرا بضرورة احتماء اهلها بدورهم ، فالظلام الذي يحل يجري بالشر وليل الريف الحالك يتسع للجريمة بما تنشر من فزع حول اهلاك انسان واتلاف زرع وسرقة حيوان . فالخوف اذن من شطار الليل هو اقدم ما تعرف القرية من الوانه . ولكن ثروت اباظة لم يقدم في روايته هذا الخوف الظاهري فحسب ـ فلعله برغم اهميته كان اخف انواعه ـ بل عرض لخوف باطني يتمثل في قضية مصيرية مثل الحرية . واذا كان الخوف الاول هو الذي يكون اطار (شيء من الخوف) فلنبدأ به الحديث ونتساؤل .. الى اي مدى نجح قاصنا في تصوير هذا الخوف ؟

لا شك ان فناننا وفق في محاولته ولكنه ليس التوفيق كله ، ويرجع ذلك الى اشياء .. اولها عدم استحضار المؤلف لهذا العنصر منذ بداية روايته فلم يستشعر القارىء له وجودا في الفصول الاولى بالمرة . ولا نعني بذلك تأخر ظهور عتريس باعث الخوف على مسرح الاحداث ، فليس من الضروري بالطبع أن يكون مجرد هذا الظهور هو الايذان الاول والاخير بانتشار الاحساس بالفزع ، وخاصة ان الخوف من رجال الليل شيء تعرفه الارض الزراعية جيدا من قديم . وشيء اخر .. هو تقريرية الاسلوب الذي بدأ به الخوف ظهوره في الرواية. فعندما ننتظر القارىء اكثر من احداث ثلاث وعشرين صفحة وجاء ذكر عتريس وارهابه اثناء خواطر فاطمة أم فؤادة المختلفة ، بدا هذا الخوف او الحديث عنه بمعنى ادق كائنا هشا منفصلا جامدا لا يكاد يحدد شيئا سواء عند هذه الشخصية او تلك . تصف فاطمة عتريسا بانه الهول الذي يملأ القرية والقرى المحيطة بها بل البعيدة عنها ايضا . وتقول كذلك « انه يسلط عليهم الخوف كل الخوف فهم في رعب لا يتركهم ، رعب دائم لا يتخلى عنهم حياتهم جميعا » !

ولكن في احيان قليلة كانت هذه اللمسات التي ينثرها المؤلف بين خواطر فصوله تمهيدا لظهور عتريس ، تحقق ما اراده الكاتب من تصوير خطر هذا المجرم الارهابي ، اذ تشكل ارتباطا عضويا بين مصدر الرعب ومتلقيه على أية صورة من الصور : كما في حالة المحامي ممدوح .. اذ ان خوف اهالي القرية من بطش قاطع الطريق لا يجعلهم يلتمسون عون القانون ورجل القانون ، مما ينعكس اثره على قلة المترددين على المحامي الذي افتتح مكتبه في قريته نفسها .

ويقدم ثروت اباظة في روايته لونين من الشخوص ، النموذج النمطي ـ وهو اللون الغالب ـ والشخصية المتفردة . يمثل الاول انعام بائعة الجسد التي دفعها الترف وارواء الجسد الذي لا يشبعه زوج عليل الى الانزلاق ، وممدوح المحامي الفقير الذي يحلم بالمستقبل العريض اذا امكنه ان يتزوج بابنة رئيس النيابة . ويمثل اللون الثاني فؤادة .

وفؤادة شخصية تستوقف القارىء منذ الوهلة الاولى ، فتركيب خلياتها غير تقليدي . فهي فتاة ريفية مثقفة رحبة الفكر حصيلةقراءات كثيرة وليست نتيجة شهادة دراسية ـ ما اشبهها في هذا الموضع بأمينة بطلة (دعاء الكروان) لطه حسين ـ تتعاطف مع الناس بصورة قوية الى درجة انهم يلجأون اليها لحل مشاكلهم ، تؤمن اشد الايمان بشيئين : الحب والحرية . « فالحب عندها نبضات قلب ، وما كانت تتصور ان قلبا يعيش دون نبضات . كانت كلما سمعت عن زواج في القرية سألت العروس : احببته ؟ فان اجابتها : نعم . قالت : اذن فهو زواج . وان قالت لها : امر أبي او امر امي . سكتت فؤادة بلسانهاوقال قلبها لم يتم زواج » (ص ٢٨ ، ٢٩) . ويعكس ايمانها بالحرية قوة ارادتها الكبيرة التي لا تعرف التداعي .

واغلب الظن ان انتماء ثروت اباظة الى الكلاسيكيين حجب ما في مضمونه وخاصة في اعماله الاخيرة من قيم ثورية تتفق مع طبيعة خاصة غير مستسلمة . واذا كانت هذه القيم تبدو في اعمال قاصنا المختلفة في شكل لمسة هنا او هناك ، فهي في (شيء من الخوف) تتبلور بصورة واضحة قوية وتشكل البعد الاخر ـ الاكثر عمقا ودلالة ـ الذي اراده صاحبها من قصته الواقعية .. فتنقلنا من قرية صغيرة الى رقعة تتسع وتتسع لتشمل اوطانا تهتز فيها القيم وتستباحالحريات وتضطرب العدالة ويكون امر الجماعة للطاغي المستبد الذي يفسد الحياة جميعا بما سمم من منابعها ، فاذا الخواء يتسلل الى الارواح والجفاف يتوي كل اخضر والخوف يتسلط على القلوب والجبن يفرخ فيها ، فيحط ثقل الجبال على النفس وتمر الحياة ويصبح العيش لا

طلاق . اذن سواء في واقعية القرية او في رمزية الوطن الكبير ، فان ازمة الحرية التي تحدد ابعادها حق فتاة في رفض او قبول اعطاء الوكالة لابيها في الزواج من رجل معين تتساوى في كلتا الحالتين . وبراعة فنانتا في هذا الموضع تبدو في اختياره الدقيق لموقف من المواقف لا يختلف فيه اثنان ، لانه يعتمد على نص شرعي ، تماما كما فعل توفيق الحكيم في (السلطان الحائر) . فسواء أكانت فؤادة فتاة قروية لم تجد من اسرتها من يمد اليها يد العون ساعة الشدة عندما وافق ابوها على تزويجها من الشقي عتريس رغم ارادتها ، او وطنا مغلوبا على امره يجبن عن حمايته رعاته مؤثرين السلامة ، فهو وصول بالمأساة الى قمتها وبالخطر الى حافة هاويته . وثورية فناننا الاصيلة تأت به عن اثارة قضية وتركها بلا حل ، رغم ان القاص لاعتبارات شتى غير ملزم أن يكون من أصحاب لكل عقدة ـ غير فنية بالطبع ـ حلال ! وهكذا حملت (شيء من الخوف) خاتمة ايجابية تنبع من نفس أصرار بطلة القصة وارادتها القوية . ففؤادة ذات الماضي القوي ـ أضربت في طفولتها عن الطعام عندما رأى الاب ضرورة انقطاعها عن المدرسة حسب التقاليد الريفية وازاء مقاومتها عدل الاب ـ وكأنها مصر ذات التاريخ المكافح الضارب بجذوره في الاعماق ، تستجمع محافظتها العنيدة على مبادئها لترفض وعد عتريس ووعيده باتمام الزواج .. لا تخاف او تلين او تجبن .. وتنعكس صلابتها شيئا فشيئا على أهل القرية والمحيطين بها . روحها القوية نسري في الاخرين ، تماسكها العنيد لا يتبدد خارج ذاتها فيلقن نفس الفير دروسا في الشجاعة والكرامة ، شخصيتها الفذة التي غابت عن مجتمع القرية اشعرته بالضياع وفقدان القدوة ، تجربتها القاسية وهي الفتاة انتقض لها الرجال فاحسوا بالمهانة ، رغم أنها لم تنطق بحرف أو تطلق شكوى حتى لابيها . وصدمت القرية واستيقظت .. سواء اقرب الاقرباء او ابعد الغرباء .. فأمها السيدة الطيبة الفارقة في صلاتها تدرك ان عالم الدين لا ينتهي عند تأدية بضع ركعات ، فتعاليمه يجب أن تقيم البراني والجواني معا ، مما يجعل السكوت عن جريمة زواج بالاكراه حراما بينا . فتثور وتصر على البقاء بجانب ابنتها في محنتها في بيت عتريس وتفعل غير هيابة بطشه . والشيخ ابراهيم الرجل المسالم الذي يجهر في القرية ببطلان الزواج واقامة فؤادة مع عتريس ، لم يرهبه اغراق رئيس العصابة لارضه وقتله ولده ..

« ـ ... اما اختطاف فتاة من بين اهلها وتزوير ارادتها وجعل عقد زواج باطل عقدا صحيحا ، اما هذا فهو هام للحياة جميعا وللدين جميعا ، والسكوت عليه كمن يرى جيشا يهدم الدين وهو ساكت .

ـ يا عم الشيخ ابراهيم طول عمرك رجل طيب لم ترفع صوتك ، حتى وان اعتدي عليك . فما معنى ثورتك هذه المرة ؟

ـ حق الله .

ـ انك لم تدافع عن حقوقك ضد المعتدين .

ـ حقوقي انا حر فيها . اما حق الله فانا مرغم على الدفاع عنه . » (ص ١١٠ ـ ١١١) .

وفي استكمال ثروت اباظة للامح اليقظة التي المت بالقرية ـ ما ابعد الشقة بين قرية الدهاشنة في (شيء من الخوف) وقرية يحي حقي في (صح النوم) ! ـ يختار موقفا ثالثا ازاء تجربة فؤادة ، في محاولة تبعد بها عن ان تكون حالة فردية .. يختار اصحابه هذه المرة من بين رجال عتريس انفسهم . لقد تفسخت الرابطة بينهم وبين زعيمهم ، فثاروا عليه وحاصروه وطالبوه بأن تذهب فؤادة الى بيتها . وفزع عتريس واضطرب لتمردهم وحاول ان يتصدى لهم ويوقفهم عند حدهم القديم . ولكن الوقت كان قد فات ، لقد تكشفت لهم حقيقته التي كانت تغلفها اردية كثيرة براقة زائفة .. واستسلم وعادت فؤادة الى بيتها ..

المنصورة (ج.ع.م) علاء الدين وحيد

دار الطليعة تقدم

الاسلام والرأسمالية
تأليف
المستشرق الماركسي
مكسيم رودنسون
ترجمة
نزيه الحكيم
الدراسة الهامة التي نالت اهتماما خاصا
في كل الاوساط الثقافية والفكرية

* * *

المجموعة الشعرية الكاملة
المجلد الاول
تأليف
محمد مهدي الجواهري
يضم هذا المجلد اول مجموعة من قصائد
الجواهري الرائعة في نحو خمسة آلاف بيت

* * *

الدار الكبيرة ـ الحريق ـ النول
ثلاثية
الكاتب الجزائري
محمد ديب
ترجمة
الدكتور سامي الدروبي
عمل روائي كبير لكاتب روائي كبير

* * *

العهد المخضرم
في سورية ولبنان
تأليف
محمد جميل بيهم
ادق التفاصيل عن بعض الاحداث الهامة التي وقعت
في سورية ولبنان ما بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٢ .
ويضم الكتاب بالاضافة الى ذلك مذكرات الامير
سعيد الجزائري

منشورات دار الطليعة ـ بيروت
ص.ب ١٨١٣